

فتح القدير

قوله : 24 - { مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع } ضرب للفريقين مثلا وهو تشبيه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وتشبيه فريق المؤمنين بالبصير والسميع على أن كل فريق شبه بشيئين أو شبه بمن جمع بين الشيئين فالكافر شبه بمن جمع بين العمى والصمم والمؤمن شبه بمن جمع بين السمع والبصر وعلى هذا تكون الواو في والأصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول الشاعر : .

(إلى الملك القرم وابن الهمام) .

والاستفهام في قوله : { هل يستويان } للإنكار : يعني الفريقين وهذه الجملة مقررة لما تقدم من قوله : { أفمن كان على بينة من ربه } وانتصاب مثلا على التمييز من فاعل يستويان : أي هل يستويان حالا وصفة { أفلا تذكرون } في عدم استوائهما وفيما بينهما من التفاوت الظاهر الذي يخفى على من له تذكر وعنده تفكر وتأمل والهمزة لإنكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين .

وقد أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله : { ومن أظلم } قال : الكافر والمنافق { أولئك يعرضون على ربهم } فيسألهم عن أعمالهم { ويقول الأشهاد } الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا { هؤلاء الذين كذبوا على ربهم } شهدوا به عليهم يوم القيامة وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال : الأشهاد الملائكة وأخرج أبو الشيخ عن قتادة نحوه وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [إن اﻟﻲ ﻳﺪﻧﻲ ﻣﻮﺋﻤﻦ ﺣﺘﻰ ﻳﻀﻊ ﻛﻨﻔﻪ ﻭﻳﺴﺘﺮﻩ ﻣﻦ ﻧﺎﺳﻲ ﻭﻳﻘﺮﺭﻩ ﺑﺬﻧﻮﺑﻪ ﻭﻳﻘﻮﻝ ﻟﻪ : ﺃﺗﻌﺮﻑ ﺫﻧﺐ ﻛﺬﺍ ﺃﺗﻌﺮﻑ ﺫﻧﺐ ﻛﺬﺍ ؟ ﻓﻴﻘﻮﻝ : ﺭﺏ ﺃﻋﺮﻑ ﺣﺘﻰ ﺇﺫﺍ ﻗﺮﺭﻩ ﺑﺬﻧﻮﺑﻪ ﻭﺭﺃﻯ ﻓﻲ ﻧﻔﺴﻪ ﺃﻧﻪ ﻗﺪ ﻫﻠﻚ ﻗﺎﻝ : ﻓﺈﻧﻲ ﺳﺘﺮﺗﻬﺎ ﻋﻠﻴﻚ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻭﺃﻧﺎ ﺃﻏﻔﺮﻫﺎ ﻟﻚ ﺍﻟﻴﻮﻡ ﺗﻢ ﻳﻌﻄﻰ ﻛﺘﺎﺏ ﺣﺴﻨﺎﺗﻪ ﻭﺃﻣﺎ ﺍﻟﻜﺎﻓﺮ ﻭﺍﻟﻤﻨﺎﻓﻖ ﻓﻴﻘﻮﻝ ﺍﻟﺸﻬﺎﺩ : ﻫﻮﺍﺀ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻛﺬﺑﻮﺍ ﻋﻠﻰ ﺭﺏﻫﻢ ﺃﻻ ﻟﻌﻨﺔ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻈﺎﻟﻤﻴﻦ] ﻭﺃﺧﺮﺝ ﺍﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺣﺎﺗﻢ ﻭﺃﺑﻮ ﺍﻟﺸﻴﺦ ﻋﻦ ﺍﻟﺴﺪﻯ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ : { ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻳﺼﺪﻭﻥ ﻋﻦ ﺳﺒﻴﻞ ﺍﻟﻠﻪ } ﻗﺎﻝ : ﻫﻮ ﻣﺤﻤﺪ ﻳﻌﻨﻲ ﺳﺒﻴﻞ ﺍﻟﻠﻪ ﺻﺪﺕ ﻗﺮﻳﺶ ﻋﻨﻪ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻭﺃﺧﺮﺝ ﺍﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺣﺎﺗﻢ ﻋﻦ ﺃﺑﻲ ﻣﺎﻟﻚ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ : { ﻭﻳﺒﻐﻮﻧﻬﺎ ﻋﻮﺟﺎ } ﻳﻌﻨﻲ ﻳﺮﺟﻮﻥ ﺑﻤﻜﺔ ﻏﻴﺮ ﺍﻟﺴﻠﺎﻡ ﺩﻳﻨﺎ ﻭﺃﺧﺮﺝ ﺍﺑﻦ ﺟﺮﻳﺮ ﻭﺃﺑﻮ ﺍﻟﺸﻴﺦ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ : { ﺃﻭﻟﺌﻚ ﻟﻢ ﻳﻜﻮﻧﻮﺍ ﻣﻌﺠﺰﻳﻦ ﻓﻲ ﺍﻟﺄﺭﺿﻲ } ﺍﻻﻳﺔ ﻗﺎﻝ : ﺃﺧﺒﺮ ﺍﻟﻠﻪ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺃﻧﻪ ﺣﺎﻝ ﺑﻴﻦ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺸﺮﻙ ﻭﺑﻴﻦ ﻃﺎﻋﺘﻪ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻭﺍﻟﺄﺧﺮﺓ ﺃﻣﺎ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻓﺈﻧﻪ ﻗﺎﻝ : { ﻣﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻳﺴﺘﻄﻴﻌﻮﻥ ﺍﻟﺴﻤﻊ ﻭﻣﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻳﺒﺼﺮﻭﻥ } ﻭﺃﻣﺎ ﻓﻲ ﺍﻟﺄﺧﺮﺓ ﻓﺈﻧﻪ ﻗﺎﻝ : { ﻓﻼ ﻳﺴﺘﻄﻴﻌﻮﻥ * ﺧﺎﺷﻌﺔ } ﻭﺃﺧﺮﺝ ﻋﺒﺪ ﺍﻟﺮﺯﺍﻕ ﻭﺍﺑﻦ ﺟﺮﻳﺮ ﻭﺃﺑﻮ ﺍﻟﺸﻴﺦ ﻋﻦ ﻗﺘﺎﺩﺓ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ : { ﻣﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻳﺴﺘﻄﻴﻌﻮﻥ ﺍﻟﺴﻤﻊ } ﻗﺎﻝ : ﻣﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ

يستطيعون أن يسمعوا خيرا فينتفعوا به ولا يبصروا خيرا فيأخذوا به وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله : { أختوا } قال : خافوا وأخرج ابن جرير عنه قال : الإخبات الإنابة وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وأبو الشيخ قال : الإخبات : الخشوع والتواضع وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن مجاهد قال : اطمأنوا وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله : { مثل الفريقين كالأعمى والأصم } قال : الكافر : { والبصير والسميع } قال : المؤمن